التربية والتوافق المجتمعي!

بقلم: عماد أحمد العالم

@emadelalem

فقط دع الناس تقول ما تريد وافعل أنت ما تريد!.....
ويقال أيضًا: البس كالناس وكل كما تشاء!

مثالان يظهران مفهوم التوافق المجتمعي في ثقافتنا العربية، وضرورة الالتزام به وعدم السباحة عكس التيار ومخالفة العادات والتقاليد، التي يشكل اللبس والحديث فيها نمطا لا يحبذ أبدًا الخروج عليه، وعليك كعربي تعيش في مجتمعك أن تكون كالأغلبية حتى ولو لم تكن مقتنعًا. قناعتك ليست حقًا ملكك وربما تكون سببًا في مخالفتك للتيار السائد. حينها ستتعرض للنقد والتجريح والعداء دونما أي احترام لحريتك الفردية، والتي سيؤكد لكَ القائمون على تقاليد المجتمع أنها تنتهي بهم، دون أي اعتبارٍ لك!

للأسف لا نملك الحلول الوسط في ثقافتنا التي باتت تتذبذب وتتأرجح بين النقيضين؛ هي إما أقصى اليمين أو اليسار، بدون أي مساحة في الوسط تعطي الحق والحرية لهذا وتضمن الاحترام لذاك.

قبل سنين قريبة ماضية، لن تستغرب أبدًا إن سمعت أن فلان قد منع ابنه أن يركب معه في السيارة لحضور مناسبة رسمية وذلك لأن الابن لم يكن يرتدي الزي الشعبي الشائع، كما لم يكن يربي شاربه (أي حليق) كما يسموه الأغلبية. قصة شعره ليست بالمستفزة المضحكة، لكنها خرجت عن النمطية السائدة والشائعة تلك الأيام. خشي الأب ووجس من أن يقلل الحضور قيمته إن أركب ابنه بجانبه في السيارة واصطحبه لحضور الحفل. تراءى للأب الذي لم يقدر مرغمًا أن يفرض نمطه على ابنه شفاه الحاضرين وهي تهمس لآذان مجاوريها ضاحكة بأن «الرجل بلا شنب كالقط بلا ذنب». الأب نفسه كتبها على سبورة فصله في أثناء دراسته الثانوية أكثر من مرة مستفزًا أستاذه المغترب الذي لم يكن يربي شنبًا أو لحية!

الحال تغير الآن وأصبح العديد من الآباء أكثر ديموقراطية، وأقل اهتمامًا بالموروثات التي تفرض إرادتها على الشكل. سمح لأبنائه أن يلبسوا كما شاءوا وتفاخروا بهم أمام الآخرين رغم لبسهم الذي لا يخلو من استهتار في المظهر ومخالفة للذوق العام، وتسريحات شعورهم المضحكة والغريبة والمفلتة للنظر والانتباه. قد يكون السبب في تغاضي الآباء أيضًا هو شعورهم أن أسلوب التربية القاسي الذي نشأوا عليه لم يعد يجدي نفعًا مع جيل يشارك صور حياته اليومية مع الآخرين عبر الإنستجرام، ويبث همومه وشكواه في تويتر والفيس بوك. لديه مقدرة تتميز بجرأة تعدت الحدود على الرد وهو يضع قدمًا فوق أخرى ولا ينزل عينيه أو يعبث بهما في الأرجاء في أثناء النظر لأبويه أو من هم أكبر سنًا منه!

في جلسات الأصدقاء والسمر، ستسمع باستمرار حكايات جيل متقارب العمر ممن تعدوا مرحلة الشباب أو لنقل أيضًا المراهقة، وهم يصفون تجربتهم مع آبائهم وكيف كان الخوف يسيطر عليهم بمجرد أن يرمق والد أحدهم ابنه، ليبدأ الأخير في الرجفان ودون أن ينبس الأب بكلمة. آهات حسرة حين يقارنوها بحالهم، وكيف تحولت ديموقراطية الحوار المتبعة لعناد من قبل الأبناء وتذمر من تمردهم. لكنهم إن طلبت من أحدهم تطبيق نفس مفهوم التربية الذي عاصره على أبنائه؛ رفض واستنكر وتشدق بالديموقراطية وبأسلوب التربية الحديث.

آخرون على النقيض تمامًا، وأقل ما يمكن أن تصفهم به هو الهمجية في التربية. يستعمل الضرب والشتيمة مع أبنائه. جل كلماته لهم هي لا وأحذرك وستضرب وتحرم!....أما إن كان حديثهم موجهًا لطفلٍ صغير؛ فالنهي والزجر والصراخ كما هو وإن اختلف لفظه....."كخا" و "ددا". المحصلة أن تجد الرضيع ينطق كلمات النهي التي سمعها من أبويه قبل أن يقول ماما وبابا!

كم مرة مرّ بجانبك أب أو أم في السوق وأحدهما يطبق يده على رقبة ابنه أو ابنته ويجره نحو السيارة، واصفًا إياه بالحمار والغبي ومتوعدًا بحفلة ضرب حال ما يصل المنزل؛ غير مكترثٍ بنظرات من حوله له أو مراع لمشاعر طفله الذي سيقتلُ فيه كرامته وعزته واعتداده بنفسه، ليكبر وهو مهزوز الشخصية لا يثق بنفسه ولا يملك قراره.

أطفالنا تاهوا بأمانينا لهم وما نخططه لمستقبلهم. نحن من نختار لهم المدرسة والجامعة، ونحن من نجبرهم لدراسة تخصص قد لا يهواه، لكننا نراهم فيه، دون أن نمنحهم المجال ليصنعوا أنفسهم بأيديهم دون تدخلٍ مباشر. أغفلنا التوجيه واستبدلناه بالإجبار.... إن ناقشونا، استعملنا وقتها سلطتنا كآباء وهددناهم إما بالدعاء عليهم والغضب الذي سيزلزلهم أو توعدناهم بالطرد والحرمان، ليخروا بعدها خانعين لنا ومنفذين لما ارتأيناه لهم لا ما يريدوه!

فلسفة الحب

بقلم : سعاد الورفلي
كاتبة وقاصة من ليبيا

إن الحب هو العامل الرئيس لكل ما يقوم به الكائن تُجاه الآخر، فالحب قيمة عظيمة وهبها الله لنا لا يستشعرها سوى من فقه فضل النعم المنعَم بها المتفضل على عباده.

الحب: كلمة بسيطة المبنى لكنها عميقة المعنى، بحارها عريضة، وأغوارها عميقة، قيمة رهيبة تُؤتي أكلها كلما استحسن استعمالها.

إن الحب عامل البناء؛ البناء الذي يسهم في التطور والتقدم والعطاء والتضحية ..

فما موت الجندي الصغير إلا نابع من حبه لبلاده، حبه لما قاتل من أجله؛ فبلا حب لا يوجد عطاء، وهل هناك أعمق وأخطر من أن يضحي الإنسان بروحه؟!

فالتضحية هي رأس الهرم لقيمة الحب، وهي قاعدته العريضة، وأضلاعه المتوازية..

استلّفت فيما استلّفت نظري قطة تحنو على صغارها الأربع؛ تغمغم بأصوات غير مفهومة وهي الأولى من نوعها، بيّد أنها كانت تموء بشراسة حينما تكون وحيدة؛ تتحنى عليهم وتقاتل دونهم وتُضرم حربًا شعواء، لو لمست إنسيًّا يقترب من الكوة التي تقطن فيها القطط الصغيرة ....تُرى – قلتُ في نفسي؛ ما الداعي لهذه القطة أن تحنوَ كل هذا الحنو على قطط ستنافسها على الطعام مجرد أن يتفتق بصرها للنور؟ قيل غريزة الأمومة لكن هذا لا يكفيني لبناء فلسفتي العميقة في الحب ..

عن غريزة الأمومة مدعومة بدعامة عامة قوية، ما دخلت في شيء إلا حولته إلى قوة مضاعفة لا تشبهها باقي القوى؛ هذه الدعامة (دعامة الحب)

نعم ...إن هذه القطة الأم أصابها شيء من حب فأكسبها حنو غريزي على جِراها الصغيرة ... فباتت لا تشبع قبل أن يشبعوا، ولا تنام أو تبحث عن رزقها حتى يناموا، ولا يهنأ قلبها وهي بعيدة وهم يتصارخون في جحرهم.

أعرفتم معنى قيمة الحب؟

إن الحب شعور عميق تظهر سيماه في أفعالنا وأقوالنا، دون أن نقصد نحن ذلك بأن نتعمد فعل التضحية !

إن فلسفة الحب مبنية على أساس قوي ينبع من شغاف القلب، فكم من قاسيَ القلب حينما تمر من أمامه فتاة حسناء؛ تنقلب سحنة وجهه إلى نضارة، ويعتدل تقطيب الحاجبين إلى استقامة، وما هذا إلا بدافع محبته لما رآه، وليس الإعجاب سوى قبس من المحبة المتأصلة، فالمحبة موجودة لكن المحرك لها قد يخبو وتخمد جذوته حتى موعده ...

ربما تجد في مناطق نائية في دول آسيوية (أكلة الصراصير) بينما تشمئز وتصاب بالغثيان لمجرد ذكر اسمها، ولكن ما الذي دعاهم إلى أن "يقرمشوا" الحشرات ذات القشريات المقززة؛ هل هو فعل المغامرة؟ حسنًا وما الذي دعاهم ودفعهم للمغامرة؟ هل هو حب الشهرة؟ حب الشجاعة؟ حب الحشرات والتلذذ؟

ألم تقرؤوا تساؤلاتي التي بدأتها بحب؛ سواء أكان حب الظهور والشهرة أم حب المغامرة والانفلات ...إذن الدافع هو حب ذلك الشيء ..

وهذا ما أردتُ إيصاله هنا في هذه المقالة – أن الحب دافع لفعل كل شيء وأي شيء ...

فهناك الحب القاهر الذي يجتاز كل السدود والحدود ليصل إلى مبتغاه .

إن الإنسان في أضعف حالاته يقوى بالحب، والقوي في أشرس وأعتى حالاته يرِقُّ بالحب ...أو يضعف !

والعنيد إذا أحب تنازل، والقوي إذا أحب لانَ..

الحب بفلسفته ومعناه لا نستطيع سبر أغواره، عودوا إلى التاريخ واقرؤوا ما تيسر من مواقف متنوعة وأحوال مختلفة لاقت، وعانت، وهاجرت، وكافحت، كل ذلك بفعل الحب ...!

نحن عندما نقوم بالعبادات، فإن الدافع لنا هو حب الله –عز وجل- نحن نعبد الله لحبنا له ولحبنا لأوامره وشرائعه تولّد فينا (فعل الطاعة).

فالحب أن تفعل ما يرضي المحبوب، رسولنا الكريم ﷺ زرع قيمة الحب في قلوبنا ودعمها بقوله (حتى أكون أحبَّ إليه) فلقيمة الفعل يجب أن يكون مقرونا بالحب.

ذكّرني أحدُهم قائلاً: ليس بالضرورة أن تكون أغلب أعمالنا نابعة من الحب ...فهو صدق في كلامه لكنه لم يستشعر ما نتفلسف –الآن – حوله، إن الحب طيف رقيق يتغلغل في النفس ليس بالضرورة أن يظهر شاخصًا أمامك ليشعرك أنك الآن في حالة حب، ولهذا تفعل هذا ...كلا.. كانت هكذا إجابتي وردي على المعترض لما ذهبتُ إليه .فالحب كامن في النفس فأنت تقوم صباحًا وتتوجه إلى عملك، ليس لأنك تريد أن تعمل وتحصل على النقود، بل هناك نشاط داخلي منبعه محبتك لكل لحظة تبتدئ فيها عملك.. صحيح أن هناك أمزجة قاهرة قد تشوب وتشوش سماء الحب وتكدر صفاءها؛ هذه الأمزجة أن تقوم مكدرًا مثلاً أو كارهًا لمدير العمل ، أو ناقمًا على الروتين؛ لكن دافعية الحب للعمل، هو وَقود حركتك ونشاطك؛ هي إكسير حياتك.

ولهذا تنوعت فلسفة الحب بما يطرأ على النفس من مشاغل تمنعها من تذوق القيمة دون حجب ...

أزمة الهوية

ريم الحاجي محمد

الأحساء

الهوية كما تعرفها معاجم اللغة هي حقيقة الإنسان المطلقة وصفاته الجوهرية.

كذلك تعرف الهوية الوطنية بأنها المعالم والخصائص المميزة وأصالتها.

إن كل فرد من أفراد المجتمع تقع على عاتقه مسؤولية حقيقته المطلقة، وتشكيل معالم وخصائص الوطن حتى يكون ممثلاً لوطنه وللمجتمع الذي ينتمي إليه، والشعوب تعرف بعضها بتلك الخصائص والعادات والملامح وطريقة الملبس وما إلى ذلك من أمور تدل على هوية صاحبها. وحتى تكون هوية الفرد بارزة ومميزة يحتاج صاحبها أن يكون مقتنعًا من الداخل بهويته ومعتزًا بها وحريصًا على إبرازها بأجمل الصور.

لكن ما نشاهده من ظواهر التقليد لكل ما يرد للمجتمع عبر أجهزة التلفاز والانترنت يشعرنا أننا نسير نحو مجتمع أشبه ما يكون بـ (مجمع الهويات)، ذلك أن الكثير من أفراد المجتمع لديهم قابلية لاستبدال هويتهم بمجرد اطلاعهم على هويات الشعوب الأخرى.

الاطلاع والمعرفة والتجريب أحيانًا لا عيب فيه؛ بل هو جميل حيث يعزز التواصل الإيجابي بين الشعوب وتبادل المعرفة، ولكن المزعج في الأمر أن الاستيراد لا يكون للإيجابي فقط، بل إن ما يحدث هو استيراد السلبيات بشكل مبالغ فيه والانبهار بما عند الآخرين، في المقابل لا نجد من أفرادنا من يصدّر للعالم هويتنا ويحسن إبرازها بإيجابية، والأدهى أنهم يتحمّسون للتقليل من قيمة موروثاتنا وهويتنا ورسمها بصورة سلبية للآخرين.

هذا الانقياد التام للتقليد ومحاكاة الآخرين قد يكون ناتجاً عن عدم الثقة فيما نملك أو الجهل بأن ما نملكه لا يقل قيمة عمّا يملكه غيرنا أو قد يفوقه قيمة.

ختامًا، التبادل الثقافي والفكري جميل بين الشعوب شريطة أن يكون إيجابيًا لا يُسهم في إلغاء هوية مقابل استيراد هوية أخرى، ودون أن يكون وسيلة لنشر سلبيات شعوب أخرى في مجتمعنا، والمفترض أن يكون معززًا لما نملك من إيجابيات أو مصلحاً لما فسد في تفاصيل تطبيقاتها.

أطفالنا أكبادنا إلى أين؟

د. ريمة الخاني - سوريا

الطفل، هو إنسان المستقبل، الذي يعول عليه وعاء يحمل ما قدمته أيدينا من تربية وتعليم ...لذلك تهتم المجتمعات المتحضرة بهذه الفئة الاجتماعية الحساسة والمهمة، فمن خلال إعداد الطفل نؤسس للمستقبل المشرق للأمة، فما هي نظرتنا وأفكارنا وتحليلنا لتلك الفئة العمرية ؟:

1 – ماذا نعني بكلمة "طفل"؟

معجميًّا:

طفل (لسان العرب)

الطِّفْلُ: هو البَنان الرَّخْص. المحكم: الطِّفْل، بالفتح، الرَّخْص الناعم، والجمع طِفالٌ وطُفول؛ قال عمرو بن قَمِيئة: إلى كَفَل مثل دعْص النَّقا، وكفٍّ تَقَلَّبُ بيضًا طِفالا وقال ابن هَرْمة: مَتى ما يَقُفْل الواشون، تومِئْ بأطْراف مُنَعَّمة طُفولِ والأنثى طَفْلة؛ قال الأعشى: رَخْصةٌ طَفْلةٌ الأنامل، تَرْتَبُّ سُخاماً تَكُفُّه بخلال وقد طَفُل طَفالة وطُفولة.

ويقال: جارية طَفْلة إذا كانت رَخْصة.

والطِّفْل والطِّفْلة: الصَّغير ان.[1]

2 – تاريخيًّا:

لقد كانت كلمة طفل تعني عند اليونان :"neption" وهي مكونة من :ne+epos أي:no word ولا تعني الطفل أو الصبي فحسب، بل الكائن الذي لا يتكلم، ومقابلها في اللاتينية :"infans" المكونة من :in+fans وتعني not speaking وهكذا فإذن تعريف الثقافتين اليونانية والرومانية للطفولة بأنها مرحلة من دون كلام، تعكس تصورهما عن الكيفية التي ينمو بها الطفل، كما تعكس اهتمامات اجتماعية وأدبية خاصة.

لذا ارتبط أدب الأطفال في ذاك العصر، وفي القرن الثالث بفن الكلام والأداء والخطابة والمسرح والحوارات، فأنشأ كوانتليان في القرن الأول الميلادي في كتابه "مؤسسة الخطابة "Instituses of oratory" وقال: على المعلم أن يكون متميزًا في بلاغته كما في سلوكه، لكي يعلم تلميذه كيف يسلك وكيف يتحدث. ويقول: تاسيتوس Tacitus الروماني في كتابه: حوار حول الخطباء Dialogue on orators من خلال هذه العملية، يتعلم الطفل أشياء حول العالم، وحول طبيعة الجنس البشري والحياة العامة.[2]

وقد عرف من كبار كتابهم في اليونانية والرومانية: شيشرون، أوفيد، لوكان، ستاسيوس، تيرينس، سالوست، ثيوقريطس، ديمو سيديس، هيبوقراطس، كزينوفون.

وقد اشتهرت شخصية "إيسوب" والحكايات الأسطورية، برغم أنه كان عبدًا قبيحًا عظيم البطن، مشوه الرأس، أفطس الأنف، داكن اللون، قزمًا مقوس الساقين، قصير الذراعين، أحول، مشقوق الشفة. وبرغم أن العبيد كانوا قبيحي الشكل كان الممثلون يتقمصون دور العبيد لغرض الخطابة. بكل الأحوال كانت الإيسوبية تعد جمعًا لأصناف أدب الأطفال الكلاسيكية، من أجل العصور الوسيطة وعصر النهضة والعصور الحديثة، لا من أجل الطفل.[3]

3 – من هو الطفل؟:

ليست الطفولة سوى مرحلة انتقالية: ولقد تغيرت حدودها عبر القرون، وهي تتطلب حماية الراشد، غير أن الانتقال من الحماية إلى الهيمنة يتحقق بسرعة .[4]

تعرف الدكتورة ملكة أبيض الطفولة قائلة: «هي المدة العمرية التي تبدأ من لحظة الولادة، وتمتد حتى يصبح هذا المخلوق بالغًا ناضجًا».[5]

وعادة تكون مدة الطفولة في المجتمعات المتقدمة أطول منها في المجتمعات المتخلفة والنامية، ويقسم العلماء الطفولة إلى ثلاث مراحل:

طفولة مبكرة، وتمتد من الولادة حتى سن السادسة.

طفولة وسطى: تمتد من سن السادسة إلى الثانية عشرة.

مرحلة الطفولة المتأخرة: تمتد من سن الثانية عشرة وحتى الثامنة أو العشرين.

يقول الأديب سليم بركات حول الطفولة :«أنت مطوق من جهات طفولتك كلها، وعليك أن تعترف بالذي فعلته والذي لم تفعله، أنت منهوب، ليس لك أمل في الفوز بأي رضا قط، بل والتخفيف من العقوبة، لا مكافآت على شيء في عمرك، قصاص تلو القصاص، تدريب باذخ على أن تكون غير نفسك، بدءًا من العائلة، مرورًا بالمدرسة، انتهاء بالدولة، والموت ينتظرك بعدئذ في مسلخه الآخر، نعم كل شيء يدعوك أن تكون كبيرًا..».[6]

ماذا يعني هذا؟، هل تعد نصًا كهذا منتهى الإحباط من خلال التنميق والتزويق الأدبي؟. إن الطفولة العالمية على عمومتها عانت منذ القديم من هذا الداء، ورغم هذا فالطموح اللامنتهي لم يدع لهذا الأخطبوط المسيطر مجالاً للتحجيم، فالطموح الحقيقي يخرج من الشرنقة حتمًا. بل ويخرقها للفضاء الأوسع ويكون كعامل مستفز دومًا لننفذ ما نما في ذهننا النشط، وإلا فسيكون طموحنا كاذبًا ومميتًا.

– ولكن ما الذي يحد من طموحه الغض؟: إن فطرة التجديد موجودة عند الإنسان من الطفولة، فترى الطفل يحاول إدراك ما حوله حسيًّا كجسم غريب بداية لتستقر الحقيقة في ذهنه بعد ذلك، وتقضي على التساؤلات، فتراه يلمس أي جسم يشعر بأنه غريب ويجب معرفته، ومع مرور الزمن يكبر الطفل، ومن خلال تربيتنا الماضوية النسقية له، سيصبح فردًا نسقيًّا كبيرًا، بعدما قضينا على عقله وعلى أي محاولة للبحث والتجريب، وبعدما قتلنا وأحبطنا بذور الإبداع فينا، وهكذا دواليك تتكاثر الكائنات البشرية تحت وفي العقل الماضوي الثابت.[7]

من هنا نفهم كيف يقضي الأهل والجو الاجتماعي المحيط على طموحه ومواهبه، ورغم أنها لا تموت عند كثير من النماذج لكنها تتنمذج إن جاز التعبير، وتتقولب، ولا تخرج من شرنقتها إلا لو حاولت هي ذاتها بمحفز

خارجي أو داخلي يشعل فتيله أمر طارئ ما.

من جهة أخرى انفتاح الباب للطفل على مصراعيه ليس محمودًا أيضًا، يقول توفيق الحكيم هنا:«إن الطفل يفرح بالجديد لأنه جديد، هكذا الشعوب أيضًا في طفولتها، والمجتمع في طفولته، يفرح للحدث الجديد، والخبر الجديد فالمهم هو التغيير فقط!، ليس الذنب ذنب الطفل، وألاعيب الطفولة، ولكن الذنب ذنب المربي الذي يشجع في الطفل هذه النزعة بالإكثار من تقديم الجديد، فيعوق نموه من عهد اللعب والعبث إلى عهد الفهم والبحث».[8]

طفلنا العربي غير متوازن، إما محروم ويعاني الكبت، أو مسرف بطر، فماذا ننتظر منه؟

أما عن تطور الشعوب من خلال أطفالها، فالشعوب في مبدأ تطورها كالأطفال في مطلع تكوينهم، تتغلب عليها الروح السلبية، فمن السهل على الطفل الذي يريد مباشرة نشاطه والاستجابة إلى داعي حيويته، أن يحقق ذلك بأن يقذف نافذة بحجر، ولكنه عندما يكبر ويقوى وينضج يرى الوسيلة في تحقيق نشاطه، هي أن يرسى ذلك الحجر أساسا لبناء.[9]

ويقول الحكيم أيضًا: «في طور الطفولة تميل إلى التحطيم، وفي طور الرجولة تنصرف إلى الإنشاء، إن الطفولة تحتاج في تكوينها ونموها إلى نموذج من الرجولة».[10]

وقال أيضًا، إن الشخص ذا القيمة هو الذي يعرف القيم كما يعرف الصائغ درجات الذهب.

3 –استثنائيات تربوية:

1 – العبقرية: من المؤسف أننا نضيع في كل يوم الكثير من النوابغ بأساليبنا التربوية القديمة المقولبة، وتصرفنا الديكتاتوري، ناهيكم عن المجتمع الكلاسيكي الروتيني، الذي لا يفقه ما معنى استثناء عن القاعدة، ولا يعير عناية لنشيط فكر.

يقول الأستاذ: حسين محيي الدين سباهي: «العبقرية نبوغ في ناحية من النواحي الإبداعية، بحث يمكننا رصدها وقياسها باختبارات الذكاء واختبارات الشخصية. «كيف تفكر كالعباقرة، لا يكمن الفرق بين التفكير الذكي والتفكير الأحمق في اختلاف محتويات الدماغ بقدر ما يكمن في الطريقة التي يستخدم فيها التفكير.

إن العبقرية نتاج الوراثة والبيئة معًا، فالاستعدادات الموروثة لا بد أن تتسلمها بيئة مواتية تشجع على التحصيل وتنمي المواهب وتتيح لها فرص التفتح، وإلا فمصير هذه الاستعدادات إلى الذبول والاضمحلال، إن ميكانيزم الوراثة لا يمكن أن يعمل عمله إلا في شروط معينة وبيئة وحمية واجتماعية صالحة.[11]

تقول الأستاذة رهف النحلاوي :المهارة إن تصيب هدفًا لم يصيبه أحد غيرك والعبقرية أن تصيب هدفًا لا يراه أحد غيرك .

2 – من هو الطفل المحروم؟، عبارة لا تجد تعريفًا واحدًا يجمعها، فمنهم من يقول طفل الشارع، ومنهم من يقول هو الطفل الذي أساء الأهل تربيته، ومنهم من يقول هو من تربى بعيدًا عن أهله.

بكل الأحوال، يبقى طفل الشارع يجمع جل العناصر المحبطة والمؤدية لتربية منحرفة، يقول الدكتور معمر نواف الهوارنة عن هذا الطفل: أطفال الشوارع هم الأطفال الذين يعدون أكثر الفئات تعرضًا للظروف الصعبة والحرمان وعدم إشباع احتياجاتهم، هم فئات محرومة، أو تعيش في ظروف صعبة.

طفل الشارع، طفل يظل مدة طويلة في أثناء اليوم في الشارع، سواء كان يعمل أعمال هامشية، مثل مسح زجاج السيارات، أو بيع سلع بسيطة، أو جمع القمامة، أو التسول للحصول على المال، أو يخالط أصدقاء السوء، أو يعمل أعمالاً غير قانونية، كارتكابه أعمال عدوانية تجاه المارة والمرافق العامة.[12]

إن الإحصاءات العربية قصرت في جمع آخر ما توصلت إليه الأرقام بصدد رصد عدد أطفال الشوارع وقد كان آخر إحصائية عام: 2000 بلغت: 10 مليون طفل، بينما الرقم عالميًا بلغ 40 فماذا يعني هذا؟.[13]

–كيف يبدع طفل يعيش مشردًا؟،

يقول الأستاذ: حسين محيي الدين سباهي ويقول الباحثون أن المبدعين والعباقرة عندما يضيق بهم العالم من حولهم يبدعون كنوع من التعويض، فيتصرفون تصرفًا مختلفًا ومميزًا، فهل العبقرية مرض عقلي؟، لكن غالبية العباقرة بعد البحث يتميزون بالصحة النفسية والانضباط، ذلك لأن لديهم حسًّا عاليًا بالواقع، وحتى وإن تصرفوا أحيانًا بشذوذ، أو كانت لهم انفجاراتهم الانفعالية. فبوسعهم تصحيح أنفسهم لأنه يملك من المرونة ما يمكنه تجريب أفكار جديدة تحول مساره لآفاق جديدة إيجابية.

برغم أهمية التعرف على الأسباب المؤدية للتشرد والحرمان: مثل انخفاض المستوى الاقتصادي والتعليمي والثقافة الاجتماعية حتى، وما يزيدها تأزمًا ارتفاع تكاليف التعليم وقلة مباني المدارس وسوء علاقة المدرسة بالطالب، وسوء المناهج وتخلفها عن الركب الحديث، وتفكك العلاقات الأسرية وسوء شروط السكن، وما يؤدي ذلك لأمراض عضوية واجتماعية عميقة الأثر، فكله يؤيد فكرتنا القائلة: هل بيئة كهذه تؤدي لجيل قارئ مثقف وكتاب يعرفون ماذا يريد المجتمع أو ما هو بحاجة إليه، لذا فإن الكاتب المقتدر يعيش على هامش المجتمع يكتب في زاوية مهملة إلا من بعض أضواء إعلامية بسعيه، ودون صدى بعيد المدى.

وعلى هذا نجد أن العامل النفسي إيجابيه وسلبيه يلعب دورًا خطيرًا في دفع عجلة الإبداع للأمام ، تقول الدكتورة ملكة أبيض في هذا المجال : «إن العمليات الثقافية الموجهة نحو الأطفال سواء كانت تربية أو إعلامًا أم ترفيهيًّا، تشكل في صميمها عمليات اتصال بالمعنى العلمي للكلمة Communication، وتحوي ثلاثة عناصر المرسل والمستقبل أو المرسل إليه، والرسالة ونواقل الاتصال أو وسائطه[14] ، لذا بات الحكم من بعد على الطفل قبل الكتابة له تسرع وظلم، فلنعد النظرة تلو النظرة، ولنعرف ماذا نريد من الطفل وماذا يريد منا.

الهوامش:

1 – راجع الرابط:
http ://www.baheth.info/all.jsp?term=%D8%B7%D981%%D984%

2 – "دونيز اسكاربيك" في كتابه: أدب الطفولة والشباب، الكتاب من ترجمة د. نجيب غزاوي ومراجعة عيسى عصفور.

3 – راجع العدد 562 من مجلة المعرفة البحث: مدخل نفسي اجتماعي لأدب الأطفال للدكتورة المذكورة.

4 – راجع كتابه : التعجيل في قروض النثر. ص 120

5 – انظر العدد 562 من مجلة المعرفة : بحث: الحداثة العربية من التجديد إلى الجمود .للناقد "أحمد أنيس الحسون" بتصرف.

6 – من كتاب عصا حكيم في الدنيا والآخرة، ص 97–98

7 – من كتاب عصار الحكيم في الدنيا والآخرة، للأديب الكبير توفيق الحكيم. ص 138

8 – راجع كتاب "عصا الحكيم" ص 24

9 – من بحث سيكولوجية التفكير العبقري وعلاقة العبقرية بالاضطرابات العقلية والنفسية. العدد 606 من مجلة المعرفة آذار 2014

10 – من بحث "أطفال الشوارع . العدد 606 من مجلة المعرفة آذار 2014

11 – المصدر السابق نفسه.

12 – من بحث "أطفال الشوارع . العدد606 من مجلة المعرفة آذار 2014

13 – المصدر السابق نفسه.

14 – بحث: مدخل نفسي –اجتماعي لأدب الأطفال مجلة المعرفة العدد 562 تموز 2010

حماية البيئة والتعليم 2-3

حماية البيئة مطلب اجتماعي

عبد الله بن محمد اليوسف

الرياض

إن التعليم يغفل ولم يبين أن حماية البيئة مطلب اجتماعي، فلو استعرضنا مكونات البيئة الحضارية: لوجدا أنه يتكون النظام البيئي الحضاري من خمسة عناصر هي:

أولاً النظام التقني:

تعني التكنولوجيا في العصر الراهن استخدام المعرفة العلمية في التطبيق العلمي لاستثمار موارد البيئة من جهة، وحل المشكلات البيئية والتصدي للأخطار البيئية من جهة أخرى، أو بمعني آخر الإصحاح البيئي. والعلاقة التي تربط بين العلم والتكنولوجيا في الوقت الحاضر علاقة تبادلية، بمعنى أن كل ما يحرزه العلم من تقدم يتمثل في اختراعات تقنية جديدة، ومن ثم تساعد تلك الاختراعات على تقدم العلم، ويلاحظ أن هناك تسارعًا في المدة ما بين الاكتشاف العلمي الجدي وتطبيقه، فعلى سبيل المثال فإن التصوير الفوتوغرافي تم تطبيقه صناعيًا بعد اكتشافه علميًا بـ (112 عامًا)، والتليفون استغرق إنتاجه 56 عامًا، أما الراديو فقد استغرق 35 عامًا، والرادار استغرق 15 عامًا، والترانزستور استغرق 5 سنوات، أما الدوائر المتكاملة فقد استغرقت 3 سنوات. إن هذه الظاهرة من السرعة المتزايدة يومًا بعد يوم، يجب أن تلفت نظرنا بشدة إلى ضرورة الإسراع بالخطى والاهتمام بالإنسان صانع التقنية، وضرورة الاهتمام بالفكر والعلم والابتكار، ووضع حلول غير تقليدية للمشكلات البيئية، وضرورة مواجهة التغيرات الاجتماعية والاقتصادية والبيئية، التي تنشأ عن تنفيذ المشاريع التنموية.

دور التقنية في التفاعلات البيئية:

لقد تغلغلت التقنية وتطورت في النسيج الاجتماعي للناس، وفي حياتهم اليومية حتى أصبح من المستحيل أن تعود عقارب الساعة، وينفض الإنسان يده من التقنية، فلمعالجة الخلل البيئي الذي نشأ عن تطبيقات التقنية في الصناعة والزراعة، يجب استنباط وسائل تكنولوجية جديدة، أو تطوير الوسائل التكنولوجية الموجودة، كأنما المجتمعات الحديثة قد أصبحت (مُدمنة) تكنولوجيا، والدواء الوحيد هو المزيد من التكنولوجيا.

ثانيًا: النظام الاجتماعي:

يقصد بالبيئة الاجتماعية، الجزء الذي يشمل الأفراد والجماعات وتفاعلهم، وأنماط العلاقات الاجتماعية القائمة بين الأفراد والجماعات التي ينقسم إليها المجتمع، وتؤثر التقاليد والقيم الاجتماعية على استغلال ثروات البيئة.

ولتنفيذ المشروعات البيئية على المستويات المحلية ينبغي إدراك أهمية المعرفة الشاملة لأنماط العلاقات الاجتماعية القائمة بين الأفراد والجماعات والنظم الاجتماعية في تفاعلها وترابطها وتساندها الوظيفي كما يجب العمل على كسب القيادات التقليدية المحلية، التي تتوافر على المعرفة الدقيقة بمختلف أمور مجتمعها المحلي وبالأحداث البيئية التي مرت به.

ثالثًا: النظام الاقتصادي:

يحدد النظام الاقتصادي في أي مجتمع كان، طبيعة حركة الموارد الطبيعية خلال النظام ونوعية الموارد المتحركة، وما ينتج عنها من نتائج اقتصادية واجتماعية كارتفاع مستوى المعيشة، أو الإخلال بالوسط البيئي، وتغيير نوعية البيئة. وترتبط بالنظام الاقتصادي كذلك، درجة تقدم معدلات التغيير في نوعية البيئة، كزيادة طرح النفايات والفضلات والملوثات المختلفة التي تؤدي إلى تدهور البيئة. ففي المجتمعات الزراعية يكون إسهام الأنشطة الاقتصادية في تدهور نوعية البيئة ضئيلاً بالمقارنة مع دورها في المجتمعات المتقدمة، إذ في الأخيرة تتعاظم مشكلات تلوث التربة والماء والهواء والأزمات البيئية الأخرى.

رابعًا: النظام الثقافي:

استطاع الإنسان، منذ ظهوره حتى الآن، أن يشيد بيئات اصطناعية (أو حضارية) تختلف عن البيئات الطبيعية، كمحاولة لاستثمار الوسط البيئي لتلبية حاجاته واستمرار وجوده. وتعد النظم الثقافية جزءًا من البيئات الاصطناعية التي أوجدها الإنسان، وتشكل الثقافة مركبًا متنوعًا من المعرفة والعقائد، والفنون والأخلاق والقوانين والأعراف، وكل المقدرات والعقائد الأخرى التي يكتسبها الإنسان من حيث كونه عضواً في المجتمع.

وتلعب المعتقدات السائدة دورًا مهمًّا في إعاقة خطط التنمية وإهدار الموارد البيئية:

لاعتقادهم أنها تفسد الأرض، وتسبب في تقليل رطوبتها. وموقف الهندوكي من الأبقار وتقديسهم لها، يقف حائلاً دون قبول أي نمط ثقافي جديد خاص بتحسين استغلال

هذه الثروة الحيوانية التي كان من الممكن أن تلعب دورًا مهمًّا في الاقتصاد الهندي.

ومن الأمور الضارة بالتوازن البيئي ذلك الاعتقاد الخاطئ بأن طائر البوم نذير شؤم، في حين أن البومة تصطاد في كل ليلة ما بين 3 إلى 4 فئران، فهي عامل من عوامل التوازن البيئي، كما أن العناكب التي لا يرتاح الإنسان إليها، تصطاد من الحشرات الضارة سنويًّا ما يزيد على وزن ثلاثة ملايين رطل، ولو اختفت لفتكت الحشرات بمقومات هذا الكوكب فتكًا ذريعًا.

خامسًا النظام السياسي:

ويقصد به كيفية إدارة المجتمع لمؤسساته التي تنقل آراء القيادة السياسية للقاعدة الشعبية، ومتطلبات القاعدة الشعبية للقيادة. وتختلف الأنظمة السياسية نوعية الحكم، ومما لاشك فيه أن للنظام السياسي أبلغ الآثار على النظام البيئي، فقد يشعل الحروب التي تدمر البيئة، وتهدر مواردها، وتقضي على القوى البشرية وتبدد قواها، وقد يسمح بدفن النفايات الذرية في أراضيه، فيعمل على تدمير بيئته الطبيعية بل البيئة العالمية حاضرًا ومستقبلاً. وقد دعا الإسلام إلى الشورى وأخذ رأي الجماعة، وعدم استبداد الحاكم برأيه، بل ومحاسبته، كما كان يتم في عهد الخليفة العادل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه. ومحاسبته لولاة الأقاليم وتطبيقه مبدأ: من أين لك هذا؟ كذلك في عهد الخليفة عمر بن العزيز الذي رد أموال بني أمية إلى بيت مال المسلمين.

ومن هذه المسائل قضايا البيئة والأمن البيئي:

أو التحقيق في ماهية التربية البيئية في وعي أفراد المجتمع كبارًا وصغارًا؛ ولا يخفى أن الشريعة جاءت بنصوص عديدة تدعو إلى حماية المحيط الذي يعيش فيه الإنسان، بوصفه أحد أهم ركائز قيام الإنسان بعملية الاستخلاف والعمارة في الأرض، وهنا يتوجب الحديث عن مراعاة الوازع الديني في تحديد أهمية رعاية المحيط بخاصة، والبيئة بصفة عامة؛ فإن الخالق تبارك وتعالى عندما استخلف الإنسان وأمره بعمارة الأرض سخّر له ما في الكون من جماد وكائنات حيّة لتعينه على عملية الأعمار، معتمدًا في أساليب التعامل على نصوص من الوحي، وهذا ما يدعونا لاستقراء هذه النصوص وجمعها، وتبويبها على أسس موضوعية، لأنها تنطوي تحتها مجموعة متجانسة من الأحكام الشرعية التي تختص بالبيئة والعوامل المحيطة بها، وهو ما يمكن إطلاق المصطلح المقاصدي عليه، وهو أن رعاية البيئة من "المقاصد العامة"، وهي التي عرّفها الإمام ابن عاشور في قوله: "ما كان عائدًا على عموم الأمة عودًا متماثلاً، وما كان عائدًا على جماعة عظيمة من الأمة أو قطر:" وإن حماية البيئة من المصالح التي لا تعود بالنفع على فرد أو أفراد قليلين في الجماعة، بل إن عموم المجتمع مستفيد من رعاية البيئة، وإذا ما اختل النظام والتوازن البيئي، واستنزفت الموارد الطبيعية، وتلوث الجو، فإن المجتمع بأسره سيعود عليه هذا الاختلال بالدمار والهلاك؛ في صحته، ومحيطه، وعلاقته بالبيئة نفسها.

الاستخلاف قضية يجب أن نتوقف عندها مليًّا لأنها سوف تحدد دور الإنسان وواجباته تجاه بيئته:

1 - فالاستخلاف يعني أن الإنسان وصيّ على هذه البيئة وليس مالكاً لها، وأنّه مستخلف على إدارتها واستثمارها وأعمارها، أمين عليها، "وبناءً على ذلك فليس لأحد أن يدّعي أنه يملك منها شيئًا ملكًا حقيقيًّا فيكون له حق التصرف المطلق ولو بالإفساد والإتلاف، بل هي بمقتضى ملكية الله الملكية الحقيقية تشبه أن تكون ملكًا استخلافًا للناس جميعا عبر الأجيال المتتابعة".

2 - ويقتضي واجب الاستخلاف بطبيعة الحال أن يتبع المستخلف ما يأمر به مالك هذه البيئة، وخالقها ومستخلفه فيها، ويقتضي واجب أمانة الاستخلاف أن يتصرف فيها تصرف الأمين فيما لديه من أمانات. فالأرض أرض الله، والعباد عباد الله، ومعنى هذا أن لا ملكية مطلقة في الإسلام؛ أي أنه ليس من حق أي فرد أن يتصرف فيما يملك كيفما يشاء.

3 - فالملكية في الإسلام محددة بضوابط وشروط حددها الله سبحانه وتعالى، منها حسن استغلالها وصيانتها.

4 - المحافظة عليها من أي تدمير أو تخريب، فليس المطلوب في عملية الاستخلاف أن يكون الإنسان صالحًا في نفسه فقط؛ بل أن يشيع هذا الصلاح في محيطه وما هو مسخر له، وأن لا يعيث في الموجودات المسخرة له فسادًا وتخريبًا، قال تبارك وتعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ (الأعراف:56) ومخاطبًا هذه الأمة: ﴿وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾﴾ (الأعراف:74)، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾﴾ (البقرة :205).

يقول العلامة ابن عاشور مفسرًا هذه الآيات إنّ الله تعالى: «أنبأنا بأن الفساد المحذر منه هنالك هو إفساد موجودات هذا العالم، وأنّ الذي أوجد فيه قانون بقائه لا يظن فعله ذلك عبثًا».

5 - أ/ وقد تكرر في القرآن النهي عن الإفساد في الأرض بعد أن خلقها الله صالحة مهيأة لمنفعة المستخلفين فيها، وأعلن أن الله لا يحب الفساد، ولا يحب المفسدين، ويشمل هذا إفساد البيئة، وتلويثها.

- ب/ ونهى القرآن العدوان عليها والانحراف بها عما خلقه الله لها، فهذا ضرب من الكفران بالنعم، الذي يجلب النقم، وينذر مقترفيه بعذاب شديد، يوشك أن ينزل بهم كما نزل بعاد وثمود، والذين من بعدهم، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾﴾ (الفجر: 11.14).

أحمد صالح الصمعاني

aalsmany@hotmail.com

@alsmany

ولا تنازعوا

نلاحظ في الآونة الأخيرة انتشار بعض الرسائل التي تهدف للعنصرية ودائمًا حرب نفسية بين أخوان من مدينة أو دولة واحدة أحيانًا تتعلق بالقبائل أو الرياضة وغيرة من الفكر الخاطئ الذي أعتقد منشؤه أنها دعابة ومزحة، وهي في الحقيقة رسائل تقود المجتمع للفشل والهزيمة والوقف في طريق الإنجاز وتحطيم الاحلام، واستمرت هذه العنصرية في معظم المجالات مثل السخرية بين الرجال والنساء، وكما شاهدنا من رسائل التواصل الاجتماعي، وللأسف أن المبالغة في هذه النكت لم يسلم منه عرض المرأة أو الرجل المسلم حيث أنهمت المرأة بالفجور والانتكاس بالفطرة ووصفت فتيات دول الكفر بالعفاف والشرف والاحترام خلاف ما يظهر للجميع والله أعلم، وبفضل الله كم يظهر أن معظم المسلمين حافظوا على دينهم وعلى سنة المصطفى ﷺ ، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ ۖ﴾ (الحجرات: 11).

وقال المصطفى ﷺ (إن مثل المؤمنين في تراحمهم وتعاطفهم وتوادهم كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى)، وقد أجمع كثير من العلماء على أن أكبر معجزة للرسول ﷺ أنه ألف بين قلوب القبائل، فالحبشي أخ الفارسي، والقرشي أخ المخزومي وغيره، وقضية التنابز بالألقاب والعنصرية سبب رئيس في تأخر النهضة، وكم من مبدع تلقى رسائل سلبية بعثرت مستقبله وجعلته في صفوف الفاشلين بسبب السخرية والتحطيم، وكذلك علماؤنا الكرام لم يسلموا من هذا الافتراء والاتهام الباطل، أما بعض الدول قاموا بإنشاء أكاديميات ومراكز ونوادٍ ومسارح لتطوير جميع المواهب سواء كانت علمية أو رياضية وغيره من العديد من الابداعات.

أذكر أن شاب سعودي تقدم لأحد الجهات المتخصصة باختراع جديد لمحرك السيارات فكانت المفاجئة من رد الموظف الساخر: كيف حصلت على هذا الاختراع هل هو أثناء حلمك في المنام؟

وأختم مقالي بقول الله سبحانه ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ (الأنفال: 46)